من أسرار المتشابه اللفظي في سياق تصوير الجنة في القرآن الكريم

صفاء عمر وزان*

يدور موضوع هذه المقالة حول متشابه النظم في القرآن الكريم وتوجيه التنوع الصيغي الذي يحدث في الآيات الكريمة، والمقصود بالتنوع هو حلول صيغة صرفية معينة في آية ما يقتضي السياق وجودها فتكون هي الأبلغ والأفصح في مكانها.

وإن مما خصت به العربية فيما يتصل بموضوعنا ثروتها اللفظية فهي لغة اشتقاقية غنية بالصيغ المختلفة التي تعبر كل صيغة فيها عن دلالة بعينها، ولتنوع أبنيتها الصرفية فائدة جليلة، بل ولتعدد معاني تلك الأبنية ميزات فريدة لتكون قوالب مُحكمة تصب فيها مدلولات الآيات الكريمة أو هي لتستوعب الوحي المنزل ولتليق بقدره وجلاله وتؤدي حقه وتتواءم معه، فالحديث عن تنوع الصيغ مرتبط بالأبنية الصرفية من حيث أوزانها ومعانيها ومرونة هذه الأبنية وقابليتها التبادل فيما بينها للتعبير عن دلالات تناسب السياق والمقام كما سيأتي.

ولدى توجيه نظوم المشتبه لابد من التزام منهج الحصر والاستقصاء، حيث يتم تتبع جميع الآيات الشريفة في القرآن الكريم ثم تصنيفها حسب الجذور باعتبار كل قرن معين وحسب الموضوعات المتوفرة فيها، لذلك لا تتسع مثل هذه المقالة للإلمام بجميع صيغ المادة، سيما لتعلق المنهج التحليلي بدراسة كل موضوع بسياقه العام، أي: في القرآن كاملا، ثم دراسته حسب السياق الجزئي، أي: الآيات السابقة واللاحقة للموضوع، ثم دراسة مدى تلاؤم ذلك مع السياق الكلي في السورة كاملة.

ولا يمكن هنا أيضا حصر الموضوعات التي وردت في "الجنة" لذلك سوف أكتفي بذكر بعضها

* طالبة الدكتوراه بكلية اللغة العربية ومدرسة بها سابقا، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد ـ باكستان.

وبعض النماذج من الصيغ الواردة فيها، وأود التنويه إلى أن النهج الحق في معرفة أسرار توجيه المتشابه اللفظي هو في الإحاطة والتمعن بكافة صيغ المادة وما يرتبط بها من سياقات.

وفيما يلي عرض لبعض الشواهد من تلك الموضوعات:

المادة: ب ش ر

البشرى والبشارة تقال للخبر المفرح السار، وقد وردت في القرآن الكريم لتبشير المؤمنين بالرحمة والرضوان، والنعمة والفضل وبكل ما يسرهم في الجنة، وكلمة "بشرى" ترتبط بهيكل الإنسان وظاهره، يقول الأصفهاني: "البشرة ظاهر الجلد، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتبارًا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف، أو الشعر، أو الوبر، وأبشرت الرجل وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر"(١).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢) سياقه تحدي الكافرين لما أنزل الله، والصيغة معطوفة على ما أعدّ لهم من عقاب، لكنها لم تشاكل الخبر قبلها وأتت بأسلوب الإنشاء لأهمية البشارة، لأن إعجاز القرآن ظهر بعدم قدرتهم على معارضته، مما استدعى تخويف من كفر به، وتبشير من آمن به، دون مشاكلة الأمر بالأمر، أو النهي بالنهي، قال البيضاوي: "المقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه، على حال من كفر به، وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطًا لاكتساب ما ينجي، وتثبيطًا من اقتراف ما يردي، لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه أو على "فاتقوا"(٣) لذلك لم يعين المأمور، فهو لكل من قدر عليه تعظيمًا للبشارة، ونظيره قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ

١- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٥.

٣- أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٥٩، ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ٣٥٧ .

مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤] لكن سياقه في اختبار أحوال المؤمنين عند البلاء، وهنا، كما في الشاهد السابق، الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من صحت منه البشارة، ولم يعتبر الخبر والإنشاء في العطف للاهتمام بمضمون المعطوف، وقد وارى إنذار من لم يصبر من المؤمنين تبجيلًا لهم[٥].

أما قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٦] فهو بيان لتولية الله المؤمنين بعد أن نفى عنهم الخوف والحزن، لأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٧] لذلك خصهم بقوله "لهم". قال أبو السعود: "البشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك، والآجلة الغنية عن البيان وإيثار الإبهام والإجمال للإيذان بكونه وراء البيان والتفصيل"[٨]. ونظيره: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٩] وسياقه الحث على الإنفاق في سبيل الله، والغرض من المصدر "بشراكم" هو الوعد، أي: ما يُبشَّر به دون التبشير وهو دخولهم الجنة.

المادة: ج ن ن

الجنة دار المؤمنين ومأواهم، لا يتحولون عنها أبدًا، ولا يبغون عنها حولا، أعدها الله لهم جزاء ثباتهم وصبرهم، واختار لها هذا الاسم لحكمة أرادها، يقول الأصفهاني: "أصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة، والجنان: القلب لكونه مستورًا عن الحاسة، والمَجَنُّ والمجنة: الترس الذي يجن صاحبه، والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، وسميت الجنة إما تشبيهًا بالجنة في الأرض ـ وإن كان بينهما بون ـ وإما لستره نعمها عنا"[١٠].

٤- سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

٥- ينظر: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، **نظم الدرر**، تحقيق: عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٥٦.

٦- سورة يونس، الآية: ٦٤.

٧- سورة يونس، الآية: ٦٣.

٨- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ١٦٠.

٩- سورة الحديد، الآية: ١٢.

١٠- **المفردات في غريب القرآن**، ج ١، ص ٢٠٤، ينظر: عبدالحميد الفراهي الهندي، **مفردات القرآن**، تحقيق وشرح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، ج١، ص ٢٧٧.

جنتي

قوله: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[١١] هي الصيغة الوحيدة في القرآن في سياق الكلام عن الجنة التي أضيفت إلى ضمير الذات العلية، لأنه قابل كلمة "عذابه" كما ورد قبل الشاهد: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾[١٢]. ولأنه أكرم نفس المؤمن بخطابه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾[١٣]، واطمئنان النفس ، وهو الاستقرار والثبات، لا يكون إلا بمعرفتها لله والرجوع إليه، كما في قوله: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١٤].

جنتان

١- قوله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[١٥] اختلف علماء التفسير في كلمة "جنتان" منهم من جعلها واحدة، ففي البرهان: "قيل جنةٌ واحدة بدليل قوله تعالى آخر الآية: "ودخل جنته" فأفرد بعد ما ثنّى"[١٦] وعدّها الفراء جنةً واحدة "لأن العرب تثنيها في أشعارها، وذلك أن الشعر له قوافٍ يقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام"[١٧] وأنكر على الفراء هذا القول القرطبي، كما أنكره بشدة أبو جعفر النحاس قائلًا: "هذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل: "جنتان" فيدع الظاهر ويقولُ يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر، وقيل إنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة"[١٨] ومنهم من قال: إنهما جنتان[١٩]، ذكر ابن عاشور في **التحرير والتنوير**: "اللام في ﴿وَلِمَنۡ خَافَ﴾

١١- سورة الفجر، الآية: ٣٠.

١٢- سورة الفجر، الآيتان: ٢٥-٢٦.

١٣- سورة الفجر، الآية: ٢٧.

١٤- سورة الرعد، الآية: ٢٨.

١٥- سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

١٦- أبو عبد الله محمد بن بهاء بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد علي أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج ٣، ص ٥.

١٧- أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وغيره، الدار المصرية، مصر، ط١، ج ٣، ص ١١٨.

١٨- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج ١٧، ص ١٧٧.

١٩- ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢٣، ص ٥٥، أبو القاسم محمود بن عمر...

لام الملك، أو يُعطى من خاف ربه ويملك جنتين، ولا شبهة في أن من خاف مقام ربه جنس الخائفين لا خائف معين، فهو من صيغ العموم البدلي بمنزلة قولك: وللخائف مقام ربه، وعليه فيجيء النظر في تأويل تثنية جنتان فيجوز أن يكون المراد: جنسين من الجنات"(٢٠). ومنهم من قال أنها جنات كثيرة، وتعدادها سببه شدة خشية المؤمن من الحساب، فكانت خشيته من ربه وهو المحاسِب أشد، فاستحق جنانًا كثيرة لتبالغ تقواه، ولأن العرب قد تطلق التثنية وتريد بها الجمع للمبالغة والتكثير، وهو مستعمل في النظم الكريم، كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾(٢١)، ولمناسبة تكرار كلمة آلاء في السياق وهي مسخرات الكون وغيرها من النعم الكثيرة، وعلى هذا يكون إيثار الصيغة جنتان المثناة مراعاة لما سبقها ولحقها من الفواصل.

ولكن يبدو أنهما جنتان اثنتان، للأسباب التالية، وهو سر اختصاص سورة الرحمن بالصيغة المثناة، دون سائر سور النظم الكريم منها، ما ورد قبل الشاهد: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾(٢٢)، في صياغة فريدة لوصف تردد المجرمين في العذاب، فقال: "يطوفون" وجعل ركني الطواف جهنم والحميم الآن، ففي بلوغهم جهنم يحترق ظاهرهم وفي عودهم إلى الحميم يحترق باطنهم، فهي حلقة متكاملة من العذاب دائمة ومستمرة، وعلى عادة القرآن في مقابلة الأضداد، فإنه خصّ المقام هنا في بيان حسن حال المؤمن بأن له جنة عن يمين قصره وجنة عن يساره لتكامل نعيمه، لأنهما، كما مرّ جنسان من الجنات، أي إحداهما تكمل الأخرى، والمؤمن يتردد ويتطوف بينهما، أي: أراد بتثنية الصيغة التنبيه إلى تقلب المؤمن في النعيم وتردده فيه، وقد حفته الجنتان عن جانبيه، ليقابل تطواف المجرمين وتلظيهم بالعذاب وإحاطته لهم، إمعانًا في تحسيرهم، ومبالغة في إكرام المؤمنين، وعليه ليس القصد مراعاة الفواصل هنا في تثنية الصيغة وحده بل إنما تحمل التثنية معاني بلاغية فريدة.

....الزمخشري، **الكشاف**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٤٥٢، أبو محمد عبدالحق بن غالب الأندلسي المحاربي، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج ٥، ص ٢٣٣، **نظم الدرر**، ج ١٩، ص ١٨٠.

٢٠- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢٧، ص ٢٦٤.

٢١- سورة الملك، الآية: ٤.

٢٢- سورة الرحمن، الآيتان: ٤٣-٤٤.

ولأن سورة الرحمن تتميز باستعمال التثنية لاعتبارات بلاغية، فتتجلى فيها معجزة البيان بوضوح لتالي القرآن حتى ولو كان من غير المتعمقين في الموضوع، لأنه ذكر نعمه وآلاءه مثناة كما في: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾(٢٣)، وفيما ثنّى من مخلوقاته كالبحرين والزوجين والمشرقين والمغربين، وفيما بينها جميعًا من تكامل وتكافؤ، وفي كل آية ذكر فيها نوعين من نعمه، وهي ثنائية النفع فالشمس والقمر مثلاً فيهما منافع دينية ودنيوية، وأحدهما ينير في النهار والآخر ينير في الليل.

ولأنه أتى في هذه السورة بصورة جديدة للخطاب، فهو بتكراره الثنائي موجه إلى الثقلين، الإنس والجن في إعذاره إليهم وإقامة الحجة والبرهان عليهم.

المادة: غ ر ف

أكرم رب الجلال سبحانه عباده المؤمنين لعلو رتبتهم بأعالي الجنة وهي الغرف جزاء ثباتهم على الإيمان، وصبرهم وتوكلهم عليه. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾(٢٤) فإنه لما أطال في تعريف المؤمنين وكرر الموصول في كل وصف لهم للإيذان بجلل ما هم عليه من الصفات، كان من المناسب تعريف الصيغة، وأتى بلفظ اسم الجنس والمراد به الجمع، لأنها تلك الجنة التي طلبوها لا غيرها(٢٥). أما قوله: "في الغرفات آمنون" فإنه من عادة المترفين في كل زمان أنهم إذا أرسل إليهم نذير يقيسون أمر الآخرة على ما هم فيه من الدنيا، ويعتقدون أن الله قد مد في رزقهم مكرما إياهم ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(٢٦) فالمقام في كثرة الأموال والأولاد، ونفي تحقق العذاب بسببهما، فجاء بصيغة الجمع وبالتعريف، لأنه قال: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾(٢٧) فالمؤمنون أنفقوا أموالهم في سبيل الله، وأنشأوا ذريتهم على طاعته، ولأنه ذكر هنا بأن لهم جزاء الضعف، أما الصيغة "غرفا" فهي وردت لأجر الصبر على أذى المشركين، والصبر على الهجرة وشدائدها، ولأجل صفة التوكل على الله تعالى، ولأن في

٢٣- سورة الرحمن، الآيتان: ٥-٦.

٢٤- سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

٢٥- ينظر: **نظم الدرر**، ج ٢، ص ٢٥٦.

٢٦- سورة سبأ، الآية: ٣٥.

٢٧- سورة سبأ، الآية: ٣٧.

الهجرة إخلاص العبادة لله، وبما جاء قبل الشاهد من إحاطة العذاب بالكافرين في قوله: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢٨) ناسب الإتيان بضد حالهم عن طريق تكثير غرف الجنة للمؤمنين، فجاءت بالتنكير وبجمع التكسير، وبذلك يكون التعريف مع لفظ الجنس وإرادة الجمع أقوى من جمع المؤنث السالم، لاحتماله جمع التكسير، ولإفادته معنى العهد ونفي إرادة غيره معه، وجمع التكسير النكرة "غرفا" أبلغ وأقوى منهما، أي: من "الغرفة" و "الغرفات" مما يدل على عظم أجر الهجرة، لما فيها من الصبر والتوكل على الله، ولذلك قال بعد الشاهد: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢٩) وقد ناسبت التكثير في تنكير الصيغة "غرفا"، السعة في قوله: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣٠) فإنهم لما هاجروا من أرض إلى أرض، لأجل إظهار عبادته والإخلاص له فيها، جازاهم بتكثير غرف الجنة، أما في سورة العنكبوت فإنه ربط قضية الرزق بالإيمان والتوكل على الله، وفي سورة سبأ ربط الرزق بحكمته تعالى، وإبطال طمع المترفين بالمفازة من النار لكثرة أموالهم وأولادهم، واستثنى من أنفق في سبيل الله، وأنشأ ذريته على الطاعات، مما يعني أن الإيمان بالله والتوكل عليه في الرزق، أعظم في الأجر والمثوبة من وجود الرزق وإنفاقه في الطاعات، فتكون الصيغة "غرفا" أقوى من "الغرفات" ولهذا جاء بعدها وبعد "الغرفة" قوله "بما صبروا" لأن اسم الجنس المعرف ناسب التعداد الطويل لصفات المؤمنين، بينما جاء هناك قبل الشاهد "الغرفات" قوله "بما عملوا".

المادة: ف ت ح

في سورة الزمر: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(٣١).

ورد الشاهد الأول " فُتِحت" في سياق وصف اليوم الآخر، والقضاء بين الناس وسوق كل من المؤمنين والكافرين إلى منازلهم، لذلك كانت الصيغة فعلية، وهي بعد واو الحال، أي: عندما يصلونها يجدون أبوابها قد فتحت تبجيلا وإكراما لهم "وجواب الشرط محذوف إيذانًا بأن ما أعد لهؤلاء المتقين حينئذ من

٢٨- سورة العنكبوت، الآية: ٥٥.

٢٩- سورة العنكبوت، الآية: ٥٩.

٣٠- سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

٣١- سورة الزمر، الآية: ٧٣.

فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات"[٣٢] ومن هنا كانت فائدة البناء للمفعول، وهو الاهتمام بشأن المؤمنين، بينما قال في الكافرين عند دخولهم جهنم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٣٣] أي: تفتح أبوابها في وجوههم فجأة إمعانا في التهويل عليهم وترعيبهم، أي: هناك سوقان: سوق إهانة وإيذاء ومذلة، وأعقبه بالفتح المفاجئ لأبواب جهنم عند مجيئهم ليزيدهم رعبا وتهويلا، وسوق كرامة وتبجيل، وأعقبه بواو الحال، وذلك أدعى لإكرام الداخلين إلى الجنة، أي: فتحت لأجلهم وقبل وصولهم، ولذلك كانت الصيغة فعلية، ولينا سب أفواج الناس يومئذ الذين عبر عنهم بكلمة "زمرا".

أما قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾[٣٤] فسياقه استحقاق المتقين للجنة، والصيغة هنا أيضًا وردت حالا، ولم يقل سبحانه: "مفتوحة" وأتى بالتثقيل في الوزن مفعّلة ليدل على المبالغة في تفتيح الأبواب لهم، قال البقاعي: "للمتقين إقامة في استمراء وطيب عيش ونمو وامتلاء وشرف أصل، ولما كانت "جنات عدن" من الأعلام الغالبة، نصب عنها على الحال قوله: "مفتحة" أي: تفتيحا كثيرا وبليغا من غير أن يعانوا في فتحها شيئا من نصب أو طلب أو تعب، وأشار جعل هذا الوصف مفردا أن تفتيحها على كثرتها كان لهم في آنٍ واحد حتى كأنها باب واحد"[٣٥] وذلك ليدفع عنهم عناء الاستئذان وذل ووحشة الحجاب.

المادة: و ر ث

الإيراث هو العطية التي لا يقصد بها التعاقد ولا التعاوض، وهو في المعاني كما في وراثة النبوة والفضيلة والعلم[٣٦].

حيث كان المقام أمكن في ملك المؤمنين للجنة، ورد الفعل المتعدي إلى مفعولين، فالصيغتان: "نورث" و"أورثتموها" اشتركتا في السياق بتفخيم الجنة والإشارة إلى علو شأنها عن طريق أداة البعد

٣٢- **تفسير أبي السعود**، ج ٧، ص ٢٤٦، **التفسير الكبير**، ج ٢٣، ص ٢٧٧، **الكشاف**، ج ٣، ص ٣٥٨، **تفسير البيضاوي**، ج ٥، ص ٣٣.

٣٣- سورة الزمر، الآية: ٧١.

٣٤- سورة ص، الآية: ٥٠.

٣٥- **نظم الدرر**، ج ١٦، ص ٤٠١.

٣٦- **مفردات غريب القرآن**، ج ١، ص ٨٦٣.

"تلك" وبذكر الوعد وبتأكيد إنجازه.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(٣٧) الصيغة "نورِثُ" سياقها المنُّ والعطاء، فإنهم يؤتون برزقهم كما يتمنونه دون منٍّ عليهم به ولا كلفة، وهذا العطاء يأتيهم دواما، كما قال قبل الشاهد: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٣٨)، لذلك جاء بنون العظمة دالًا على أنه المعطي الواهب لذلك الإرث العظيم، وقال: "عبادنا" إشارة إلى ذلهم وافتقارهم إلى خالقهم، وقال: "تقيًا" مبالغة في خوفهم وخشيتهم له ليناسب معنى القوة في تمليكهم الجنة في تعدي الصيغة إلى مفعولين، ولذلك أكد وعده لهم فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾(٣٩).

أما قوله: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾(٤٠) فإنه استعار الاسم "ورثة" للدلالة على أهل الاستحقاق، لأنه في مقام دعاء إبراهيم عليه السلام وفيه أطال ذكر فضل ربه عليه، فكان الاهتمام هنا بمن يرث الجنة دون الالتفات إلى موروث كان من قبل المستفاد من اسم الفاعل "الوارثون" ودون التفات إلى معنى استحقاق الجنة أو اصطفاء من يرثها، فجاء بالاسم "ورثة" وهو بوزن فَعَلة الموحي بالتذلل والطلب، مثل عَبَدة وطَلَبة، لتأكيد دعائه عليه السلام والإلحاح بطلب الفضل والرحمة منه تعالى.

المادة: س ق ى

ورد المضارع في سياق وعيد المكذبين وتهديدهم، قال قبل الشاهد: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾(٤١) أي: تجددون تكذيبكم بالقرآن، وأراد ذكر جزاء من هم ضدهم في المآل الذين كانوا يعرضون عن الملذات ويصرفونها لطاعته، فأتى بالمضارع "ويسقون" تجديدا لهم في لذة النعيم، وليناسب معنى الاتساع المستفاد من وصف مكان كتاب الأبرار في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾(٤٢) فإنه لعلوه لزمه فضاء متسع مطلق، وأخبر أنه "كتاب مرقوم" يحضره الملائكة يحملون فيه اسم صاحبه وأنه أمن النار،

٣٧- سورة مريم، الآية: ٦٣.

٣٨- سورة مريم، الآية: ٦٢.

٣٩- سورة مريم، الآية: ٦١.

٤٠- سورة الشعراء، الآية: ٨٥.

٤١- سورة المطففين، الآية: ١٧.

٤٢- سورة المطففي، الآية: ١٨.

ويتنقلون به بين السماوات، ثم أخبر عن الأبرار أنهم في النعيم ينظرون إلى ما يشتهون من مستلذات الجنان، فهم على دوام في النظر.

ولما كان المقام مرتبطًا بمشهد الملوك أرباب الثياب الفاخرة وقد وجدت لهم الحلية في قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾(٤٣) ناسب الإتيان بالشاهد "وسقاهم" فالمضي في الصيغة لتأكيد السُقيا للمؤمنين، في سياق المبالغة في وصف الشراب، والشواهد الثلاثة وردت بمعنى الإسقاء للمبالغة، جاء في **المفردات**: "السقي والسُقيا أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقي منه ويشرب، تقول أسقيته نهرا"(٤٤)، وأسند الفعل إليه مؤكدًا إحسانه إليهم ثم قال: "ربهم" ليدل على رعايته لهم وتدبير مصالحهم. قال البقاعي: "قال بانيًا للفاعل بيانًا لفضل ما يسقونه في نفسه، وفي كونه من عند الإله الأعظم، المتصف بغاية الإحسان على صفة من العظمة تليق بإحسانه سبحانه بما أفاده إسناد الفعل إليه "وسقاهم" وعبر بصفة الإحسان تأكيدا لذلك فقال: "ربهم" أي: الموجد لهم المحسن إليهم المدبر لمصالحهم"(٤٥)، ولهذا قال عقب الشاهد: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾(٤٦) أي: هو مُعَدٌ لكم قبل موتكم جزاء أعمالكم.

المادة: ن ز ف

في سورة الواقعة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾(٤٧)، في سورة الصافات: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾(٤٨).

اشترك سياق الشاهدين في وصف النعيم من اتكاء المؤمنين وتقابلهم على سرر عظيمة، والطواف عليهم بكأس هي الخمر بصفاتٍ تميزها عن خمر الدنيا، وقد نفى عنها كل أنواع الفساد، وأثبت لها النفع والكثرة، ففي سورة الواقعة أتي بالمضارع المبني للفاعل "يُنزفون" لأنه بنفي الصداع عنهم دل على كثرة شربهم للخمر حتى تتميز عن خمر الدنيا، أي: رغم شربهم منها لا تنفد، فيكون الفعل "ينزفون" من أنزف،

٤٣- سورة الإنسان، الآية: ٢١.

٤٤- **المفردات في غريب القرآن**، ج ١، ص ٤١٥.

٤٥- **نظم الدرر**، ج ٢١، ص ١٥٠.

٤٦- سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

٤٧- سورة الواقعة، الآية: ١٩.

٤٨- سورة الصافات، الآية: ٤٧.

أي: انقطع ماؤه وانتهى، قال الرازي: "ولا يُصدعون، أي: لا يفقدونه ومع كثرته ودوام شربه لا يسكرون فإن عدم السكر لنفاد الشراب ليس بعجب، لكن عدم سكرهم مع أنهم مستديمون للشراب عجيب، ولا ينزفون الشراب، أو لا ينزفون عنها بمعنى لا يخرجون عما هم فيه ولا يؤخذ منهم ما أعطوا من الشراب، ثم إذا أفنوها بالشراب يعطون"(٤٩) ومعنى الغول والغيلة والغائلة كما يقول البقاعي: "أي: ليس فيها من فساد، من تصديع رأس، أو إرخاء مفصل، أو إخماء كبد، أو غير ذلك مما يغتال أو يهلك، أو يكون سببا للهلاك"(٥٠) وللصيغة ينزفون بالبناء للفاعل وجهان: يقال قد أنزف الرجل إذا فني خمره، وأنزف إذا ذهب عقله من السكر(٥١) وكما مر سابقا في الموازنة التي قدمها الدكتور السامرائي بين سورتي الواقعة والصافات فإن عدم نفاد الشراب ناسب انتفاء الصداع والسكر معًا، لأن انتفاء الغول لا ينفي الصداع، وانتفاء الصداع ينفي الغول يعني إذا انتفى أهون الفساد وهو الصداع فمن الأولى أن ينتفي الهلاك. وهو ما كان في سورة الواقعة، ثم وردت معه المعاني الأتم والأعلى في السياق وناسب معه ورود كلمة "فاكهة" وهي أعم من فواكه لاشتمالها على المفرد والمثنى والجمع، وتطلق على النوع الواحد والأنواع، كما ناسب الزيادة في التنعم من الاتكاء(٥٢). ولذلك وردت صيغة المبني للفاعل في سياق تمكين المؤمنين من الانتفاع بنعيم الجنة، كتخيّرهم من فاكهتها، واشتهائهم للحمها، ما يدل على تقلبهم في تلك النعم، وناسب بين عدم انقطاع الشراب وبين جمع الأكواب والأباريق، لدلالتها على كثرة ما فيها، ثم قال: ﴿بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾(٥٣) والمعين هو الماء الجاري.

وفي اختياره لصيغة المضارع المبني للفاعل "ينزفون" حقق المعاني الملائمة للمقام التام والأعلى، واختار المضارع "يلبسون" وأراد به معنى الكثرة لدلالته على الحدوث والتكرار في سياق المن والتفضل على المؤمنين. وفي صيغة الماضي "سقاهم" جعل الأمر الآتي منزلة الواقع المتحقق لتأكيد جزاء المؤمنين، وعندما أراد الاهتمام بالمؤمنين، أي: الذين لأجلهم وقع الفعل أتى بصيغة المبني للمفعول، ولدى تمكين المؤمنين من

٤٩- **تفسير الرازي**، ج ٢٩، ص ٣٩٥.

٥٠- **نظم الدرر**، ج ١٦، ص ٢٣١.

٥١- فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٨٣، وعائشة محمد علي بنت الشاطئ، **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، ط٣، ١٣١٩هـ، ص ٥٢١.

٥٢- ينظر: **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص ٨٧.

٥٣- سورة الصافات، الآية: ٤٥.

الانتفاع بنعيم الجنة، أتى بصيغة المضارع المتعدي إلى مفعولين "نورث".

المادة: ن ض ر

ورد في نضرة وجوه أصحاب الجنة صيغتان في ثلاثة شواهد: الأولى باسم الفاعل ناضرة، والثانية نضرة، أتت مرة مضافة إلى كلمة "النعيم" ومرة معطوف عليها كلمة "سرورا" والنضرة والنضارة تطلقان على الحسن، ونضرة الوجه، أي: رونقه، ويقال للغصن: ناضر، أي: حسن. فالاسم نضرة مسوق لإبدال خشية المؤمنين وخوفهم بالأمن والنجاة من الحساب، والغرض منه ظهور أثر اطمئنانهم في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾(٥٤)، في سورة المطففين: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾(٥٥)، في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(٥٦).

ورد الشاهد في سورة الإنسان بعد تخوف المؤمنين وخشيتهم يوم الحساب وعليه بنوا أعمالهم الصالحة، فكان جزاؤهم بأن أبدل الله خوفهم بالأمن، وجعل وجوههم نَضِرة حسنة البشرة، لأن الخائف تزول بخشيته هذه النضرة، ولذلك قرنها بالسرور، لأنها البهجة التي لا تكون إلا لوجه الراضي المسرور، أي: وافق جزاؤهم عملهم، ولأنه وصف يوم القيامة بالعبوس الكالح وهو ضد المبتهج النضر، أي: آمنهم من خوفه وعبوسه، وهو في قوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

بينما أضاف الشاهد إلى كلمة "النعيم" في سورة المطففين لأنه قال في السياق: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾(٥٧) فإن النظر إلى كل مبهج ومسر ودوام ذلك يُظهر أثرا على الوجوه، وهو الحسن والبهجة، أو النضرة، لأنه أطنب بعده في سُقياهم ووصف شرابهم، فإن سقي الماء والشراب بازدياد وكثرة يضفي على الوجوه رونقًا وحسنا عجيبين، قال بعد الشاهد: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾(٥٨) ومن هنا يظهر سر تقييد الصيغة "نضرة" بكلمة "النعيم".

٥٤- سورة القيامة، الآية: ٢٢.

٥٥- سورة المطففين، الآية: ٢٤.

٥٦- سورة الإنسان، الآية: ١١.

٥٧- سورة المطففين، الآيتان: ٢٢-٢٣.

٥٨- سورة المطففين، الآيات: ٢٥-٢٨.

بينما أتى باسم الفاعل "ناضرة" لأنه قال في السياق: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[٥٩] أي: مبصر بنفسه يومئذ وبما قدم ولو أتى بكل المعاذير، فإنه متيقن من وقوع الجزاء عليه فوصفه بقوله: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴾[٦٠] أي: شديدة العبوس كالحة، وقد أتى بوصف من هم ضدهم في المآل والحال فقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۢ نَّاضِرَةٌ ﴾[٦١] وسبب كونها موصوفة بالنضرة هو نظرها إلى ربها تعالى، وفيه دليل على زيادة فوق تنعمهم ونيلهم الجنة، وهو فضل رؤيته سبحانه، وهو نظر إليه خاص بالمؤمنين لا يشاركهم فيه أحد ممن هم دونهم في الرتبة، لذلك أتى باسم الفاعل لثبوت الصفة فيهم "أي: النضرة" وقوتها واختصاصها بهم.

في السياق من المناسبة اللفظية الكلمات التالية: "ناظرة"، "باسرة"، "فاقرة".

المادة: ل ب س

في سورة الكهف: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٦٢].

في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[٦٣].

وردت الصيغة الفعلية في سياق تعدد أصناف اللباس الذي يدل على كثرته، قال البقاعي: "لما وصف ما أعد لهم من اللبس في الجنة دل على الكثرة جدا بقوله: من سندس، وهو ما رقّ من الحرير يعمل وجوها، وزاد صنفا آخر فقال: "وإستبرق" وهو ما غلظ منه يعمل بطائن"[٦٤] وأراد من المضارع تجديد الفعل وتكثيره لدلالته على الحدوث والتكرار، لأن كثرة اللباس تدل على كثرة فعل اللبس.

وأسند الفعل إليهم، لأن اللبس يقوم به الإنسان بنفسه، أو لأنه جزاء عملهم، بينما كانت التحلية

٥٩- سورة القيامة، الآيتان: ١٤-١٥.

٦٠- المرجع السابق، الآية: ٢٤.

٦١- المرجع السابق، الآية: ٢٢.

٦٢- سورة الكهف، الآية: ٣١.

٦٣- سورة الحج، الآية: ٢٣.

٦٤- **نظم الدرر**، ج ١٨، ص ٤٨.

فضل من الله فأتى بالبناء للمفعول "يحلَّون". قال الآلوسي: "أسند اللبس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا إذا كان فيه ستر العورة، وقيل بني "يحَّلون" للمفعول و "يلبسون" للفاعل إشارة إلى أن التحلية فضل من الله تعالى واللبس استحقاقهم"(٦٥).

وليقابل به ما يكون من تكرار استغاثة الكافرين بالفعل المضارع في قوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾(٦٦).

بينما أتى بالصيغة الاسمية لبيان لباسهم في سياق المنّ عليهم، وفيه عدول عن الفعلية، قال الآلوسي: "غير الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريرا، للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف التحلية فإنها ليست من لوازمهم الضرورية فلذا جعل بيانها مقصودا بالذات"(٦٧) وبه قال أبو السعود.

وقال البيضاوي: "غيّر أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أوللمحافظة على هيئة الفواصل"(٦٨) والذي أميل إليه هو قول الآلوسي والسبب ما ورد في السياق قبل الشاهد: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾(٦٩) شبه لإحاطة النار بأجسادهم وتراكمها عليهم بثياب فصلت على قدر هياكلهم تهكما بهم، وأراد ذكر النقيض لحالهم ببيان نوع لباس أصحاب الجنة، فالحرير هو ألطف الثياب وأنعمها، أي: قابل به أشنع ما يتصور من ثياب لعذاب الكافرين في النار، وليس مجيء الصيغة "لباسهم" هو لمراعاة هيئة الفواصل، لأن كل مفردة في النظم الكريم لابد أن يربطها بالسياق أبلغ مناسبة، وبدليل أنه قال بعد الشاهد الثاني: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٧٠) فإنه قابل نعومة الحرير بالحَزَن وهو الخشونة في الأرض أو في النفس لما فيها من غم، وقد اشترك في سياق الشاهدين معنى دخول المؤمنين إلى الجنة، أما الشاهدان السابقان فقد اشتركا في معنى استحقاقهم الجنة واستقرارهم فيها.

٦٥- **روح المعاني**، ج ٨، ص ٢٥٩.

٦٦- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

٦٧- **روح المعاني**، ج ٩، ص ١٣٠.

٦٨- **تفسير البيضاوي**، ج ٤، ص ١٣١.

٦٩- سورة الحج، الآية: ١٩.

٧٠- سورة فاطر، الآية: ٣٤.

نتائج البحث

وفي ضوء ما سبق يمكنني أن أقرر ما يلي:

في اختياره سبحانه لصيغ معينة في سياق تصوير الجنة وأحوالها وفي التعبير عن الجحيم وأهوالها تتبين لنا أغراض بلاغية إعجازية للقرآن وتحثنا على التأمل في دلالاتها العميقة، ومن أهم هذه الأغراض التي تحققت في نظر الكاتبة هي:

(١) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

(٢) ترك المشاكلة في العطف.

(٣) أسلوب الإنشاء بدل الخبر تنشيطا للترغيب.

(٤) تفخيم بشأن البشارة.

(٥) تعظيم أجر المؤمنين.

كما تختص بعض الشواهد بنوع إكرام مضاف إلى النعيم، إما عن طريق إسناد الفعل إليه سبحانه، كما في "وسقاهم" أو أن يأتي الفعل بنون العظمة، كما في "نورث" وللشاهدين مقام مشترك وهو التقوى والخوف والخشية منه تعالى ومن الساعة، أوأن يأتي الاسم مضافا إلى ضمير الذات العلية، كما في "جنتي" ومقامه الاطمئنان بمعرفة الله تعالى والرجوع إليه.

مر عبر الدراسة موضعان ظهر فيهما بعض الأسرار البلاغية لصيغ، اعتبر بعض العلماء ورودهما مراعاة للفواصل، رغم عدد الشواهد القليل لا أوافق على القائلين بمراعاة الفواصل، بأن وراء كل مفردة في النظم الكريم أبلغ مناسبة، وهو سبحانه غني عن الحاجة، وكلمة مراعاة لا تتوافق مع الإعجاز.

الصيغ الاسمية أعظم مناسبة في وصف الجمال، ومحاسن الجنة، فكلمة "ناضرة" وردت لمعنى دقيق وهو تمييز المؤمنين عن سائر أصحاب الجنة واختصاصهم بالنظر إليه سبحانه، إذ تدل الأسماء والصفات على قوة المعنى وثبوته في المؤمنين، أو في النعيم المعد لهم، ولأجل القدرة في الأسماء والصفات على التوسع والتنوع، في وصف النعيم، والجزاء، ودواعيه، وأسبابه، وألوانه، وقدرة الاسم على الدقة في تمييز الجزاء، لأن الذي يجازي له العدل المطلق، فعندما قال "غرفا" ناسب بالنكرة وجمع التكسير الصبر على الهجرة، والجهاد في سبيل الله، بينما كانت "الغرفات" و"الغرفة" في الإيمان والعمل الصالح.

Deeper Figurative Nuances in Qur'ānic Portrayal of Paradise

The Qur'ānic text employs certain significant words and phrases in the theme of after-life, especially in portraying the spectacular scenes of Paradise. In this sphere, the miraculous features of Qur'ānic language manifest themselves to keen readers. Since the stage of life promised to the believers in Paradise transcends present cognitive reach of human beings, the Qur'ān uses varied devices of literary expression to bring home the effective moral message intended for its readers. In this respect, the inimitable sublimity of Qur'ānic language comes into clear view as the writer has shown through numerous illustrations. Besides, the writer has profitably prefaced her discussion by an introduction to the classical and modern writers' contributions to literary appreciation of the Qur'ān.

****